OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

قبيلة أيّاد و خدماتها في الشعر الجاهلي(دراسة وصفية)

Ayyad Tribe and its Contributions in Classic Arabic Poetry (A Descriptive Study)

د. الحافظ شفيق الرحمن

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية الجامعة الاسلامية، بهاولبور

الدكتور محمد ناصر مصطفىٰ

الأستاذ المساعد،قسم اللغة العربية،جامعة سرجودها، سرجودها

ABSTRACT

It is obvious from the study of medieval Arabs that they had tribal system. A tribe was considered just like a little state and every tribe was reflected superior due to its literary services and authority among other tribes. One of these tribes was 'Ayyad'. In this study, a familiar evaluation of introductory and imperative services of famous personalities of 'Ayyad' tribe has been given.

Keywords: *Medieval Arabs, Tribal system, literary services, ayyad.*

لا مرية فيه أن تاريخ العرب القديم تدور حول نظام القبائل وأفخاذها وابطانها فإذا لكل قبيلة رسومات تمتاز من غيرها وفخذها علامات تنفصل عن ماسواها ولها طرق خاص من حيث الحياة والمعاش والكسب والمعاشرة ولها أصول هامّ للحرب والسلامة ولها نظريات مخصوصة حول '' فلسفة الحياة '' فإذا يسمح لنا ان نطلق على ان كل قبيلة ومانحدرت منها كانت دولة مستقلة مثل الدول اليوم ومنها قبيلة '' أياد '' التي تعد من أهم القبائل العربية ولها أثر كبير وعميق على أوراق التاريخ العربي ،وقد نشئت فيها شخصيات عباقرة التي اعتزت بها قبيلة '' الأياد '' ورقمت تلك الشخصيات رسمها على تاريخ العالم بحروف ذهبية وتركت لمابعدها أثرا كبيراً ولكن كيف ؟ لانعلم كثيراً منا عنه فلذا عنونت بحثي هذا '' أهل الأثر والصيت من أياد وأعمالها الساطعة '' حسب ما يلي :

تعارف قبيلة '' أياد '' :

إسمها : أياد بكسر الألف وفتح الياء المنقوطة باثنين من تحتها وفي آخرها الدال وهي قبيلة ضمخة تنسب الي جدها الأعلىٰ أياد بن نزار بن معد بن عدنان و تشعّبت منها القبائل المتعددة وهي من بقية قوم ثمود - 1

مسكنها : هذه القبيلة كانت منبتاً ونمواً علي أرض تهامة ثم تحولت الي أرض العراق بعد الحرب التي وقعت بينها وبين اِخوتها ربيعة ،مضر وأنمار فانهزمت تلك القبيلة فعلي النتيجة هجرت تلك القبيلة الي العراق 2 وقال البعض عن تحولهم الي العراق كذا: لما ملك سابور وتوّج وكان صغيراً فذاع خبر صغره في الأكناف والأطراف كلها وكانت العرب أقرب الي بلاد سواحل '' أمردشيرويه '' فجاءوا وغلبوا علي أهلها ومعاشيهم ومواشيهم وأكثروا في الفساد كذالك غلبت أياد علي سواد العراق - 3 وهي أول قبيلة عربية التي جعلت مسكنها في العراق ومستقراً لها وعاشت فيها مدة طويلة حتي حاربت الأعاجم فانهزمتهم وأخرجتهم من مساكنهم وسيطرت علي أراضيهم وانتشرت في أقطاع العراق المختلفة مثل البحرين والأحواز والكويت وجزءًامن بلاد الفارس حتي العهد الساساني ثم خرجوا من هناك الي بلاد الروم بعد اجلائهم كسريٰ في '' معركة ذي قار '' وجعلوا هناك معبدا وكعبة تدعي ''كعبة شداد '' يعبدون فيها ويطوفون حولها 4 - ثم اعتنقوا الدين المسيحية مثل السكان الآخرين للدولة الرومية- 5

لما اضاءت اشعة الاسلام علي اكناف العالم فهم آنذاك علي أرض الروم تحت الملك '' هرقل '' حتيٰ بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسلاً الي ملك الروم '' هرقل '' في عام 18 هـ بأن أعرض هذه الرقعة علي ''هرقل '' وقل له :

أعرض هذه المصحف علي من قبلك من قومنا العرب فمن أسلم منهم فلاتحولن بينه وبين الخروج الينا فوالله لئن لم تفعل لأتبعن كل من كان علي دينك في جميع بلادنا فلاقتلنه فلما قدمت المصاحف علي '' هرقل '' فهمّ ان ليس لنا سبيل وبالرغم انهم وجدوا القرآن موافقاً للاِنجيل فأسلموا ونادي مناد باالصلوة 6 - أما وجودهم اليوم ومسكنهم فليس لهم وجود كقبيلة كبيرة منذعام 1258هـ عند احتلال الغزاة من المغول علي التكريت والاحواز وغيرها - 7 مع الانتقال من موضع الي موضع ،والحروب الكبيرة والمصارعات الكثيرة لم ينته منهم خروج سلسلة الشخصيات الأفذاذ في كل الوقت - نظراً الي تلك كان يقول عبد الملك بن مروان في مدحها : هم أخطب الناس لقس بن ساعدة الأيادي ،هم أجود الناس وأسخي الناس لمكان كعب بن مامة الأيادي وهم أشعر الناس لمكان أبي داود الأيادي - 8

هند بنت الخس

هند بنت بن الخس بن حابس بن قريط الأيادية وفي تسمية أبيها أقوال متنوعة لايرجّح أحد فبعض الناس يقول هو الخس بالخاء والسين وبعض آخر يقول : هو الخص با لصاد وعلي رائ البعض هوأالأخس بالهمزة والسين أو الخسف - 9

وكانت حكيمة جاهلية قديمة ولدت قبل الإسلام بثلاثة قرون وكذالك كانت فصيحة بليغة كما شهد عليها الجاحظ ؒ فقال : كانت من أهل الدهاء والنكرة واللسان واللقن والجواب العجيب ، والأمثال السائرة ،والمخارج العجيبة ''- 10 - وقال عنها العلامة الآلوسي ؒ : كانت في نساء العرب ايام الجاهلية ذات كمال وصفات ووفور معرفة ومزيد فطانة وذكاء وحدة نظر حتي تزينت بتذكرة مآثرها صحف التاريخ وكانت منهن جملة اشتهرت بإصابة الحكم وفصل الخصومات وحسن الرائ في الحكم ومنهن ابنة الخس- 11 واعبترها البعض رمزاً للحكمة والدهاء والفطنة -

ابنة الخس حكيمة وفطينةً : كانت عقيلة وحكيمة كما تشهد عليه أقوالها في الحيوان عن علاقة وطيدةٍ بصنوف الحيوانات التي كانت منتشرة في بيئتها كما تكشف عن خصوصية علاقة بينها وتلك الحيوانات حتي تبدو كأنها عالمة بالطبائع الذاتية والخلقية لتلك الحيوانات وطبيعة ارتباطها بالبيئة العربية القديمة وأذكر مثالين حول ذلك علي سبيل التعارف والإشارة اليه - جاء المبرد بقصة امرأتين كذالك : تخاصمت امرأتان عند إبنة الخس في مراعي أبويهما فقالت الأولىٰ : إبل أبي ترعي الاسليح فقالت إبنة الخس : رغوة وصريح وسنّام اطريح - وقالت الأخرىٰ : مرعي إبل أبي الخلّة : قالت إبنة الخس : سريعة الدرّة والجرّة - 12 ونجد في هذا الحوار القصير مقدرتها علي اللغة كاملاً بأنها انتهت كلامها بحروف إنتهت بها الأولىٰ كلامها أي بالياء والحاء وكذالك نراها في اجابتها الثانية بحروفها بعينها التي ختمت كلامها - وروىٰ أبو علي القالي : قيل لإبنة الخس : أيّ الابل خير ؟ قالت : السبحّل الرُبحّل الراحلة الفحّل - 13 وكذالك انها لم تكن علمها مقصورا حول طبائع الحيوانُ الذاتية بل كان متجاوزا الي ألوانها وعاداتهاوسجلّاتها كما سيظهر ذالك في المثال الآتي : قيل لابنة الخس : ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قنّي - قيل فمائة من الضأن ؟ قالت : غنّي قيل فمائة من الإبل ؟ قالت مُنّي - 14 وشهدت علي ذكائها الرجال والنساء كثيرون كما ادعت عليها نفسها سأكتب مثالين ما يدلنا علي

روع ذكائها وحسنها : عند ما قال القلمس لهند وأختها جمعة اني أسئلكما لأعلم ايكما أبسط وأظهر بيانا وأحسن للصفة اتقانا قالتا : سل عما بدالك فستجد عندنا عقولا ذكية وألسنة قوية وصفة جلية - ثم جرت المحاورة بينهم فأجابت عن الأشياء المتعددة حتي يعجب الانسان ويحير وأكتب منها واحدة علي سبيل المثال عن '' أيّ الجمل أحب اليك ؟ '' فقالت: أحب كل ذي كاهل رفيع ملزز الخلق جميع محتمل ضليع يقل الرغاء ويعتسف البيداء وينهض بالأعباء- فلذالك أصبحت اِسمها مضربا للمثل بين الناس فاذا أراد أحدهم وصف شخص باالدهاء والذكاء فيقال له : با ابن الخس أو ابنة الخس - 15 وكذالك كان الناس يأتون اليها بالمسائل الصعبة فتحلها وبالاضافة تنصحهم وتخاطبهم حول الحكمة والمحاجبة وحقوق الحيوانات والمراعي وغيرها كما قال لها أبوها ذات يوم : أيّ الرجال خير ؟ قالت : الذي يُسأل ولا يَسئل ويضيف ولايضاف ويصلح ولا يصلح - قال : أيّ الرجال شرّ ؟ قالت : النطيط النطيط الذي معه سويط الذي يقول أدركوني من عبد بني فلان فإني قاتله أوهو قاتلي - قال فأيّ النساء خير ؟ قالت : التي في بطنها غلام وتحمل علي وركها غلام ويمشي ورائها غلام - 16

نظراً الي الأعمال المذكورة ماقبلُ تعد من حكيمات العرب كما قيل: حكيمات العرب هي :صخر بنت لقمان ،هد بنت الخس ،جمعة بنت حابس وابنة عامر بن الضرب العدوان -

ابنةالخس : **محاجة وفهيمة** : ومن سماتها الخاصة التي تتميزها عن ما عداها هي المحاجة وهي فنية دقيقة وصعبة وهي تقتضي السرعة في البديهة الرجاجة في العقل والذكاء في القريحة والفصاحة في اللسان كما سيظهر من تعريفه : هو وسيلة فنية تهدف الي توجيه المتكلم خطابه الي المتلقي بغية اقناعه بقضية ما من خلال ما يقدمه المتكلم من الحجج والبراهين الاستدلالية علي صدق قضيته - 17 ولديها قوّة كاملة حول ذالك الفن كما يبرز في العبارة الآتية :

ذات يوم مرّ عليها رجل فقال : اني أريد أن أسئلك قالت : هات -

قال : كاد -----

فقالت : -------- المنتعل يكون راكباً

فقال : كاد -----

قالت : ------- النعامة يكون طائراً

فقال : كاد -----

قالت : ------ الشراريكون سحراً

ثم قالت للرجل : عجبت -----

قال : ----- للسباخ لاينبت كلأها ،ولا يجف ثراها- 18 وكانت تقرض الشعر شعرالحكمة والمخابرة وأذكر في الذيل بعض أشعارها التي تدلنا علي مرتبتها الكبريٰ والعظميٰ

ابنة الخس شاعرةً :

لقد أيقنت نفسي الفتي غير باطل وان عاش حينا انه سوف يهلك [20]

لقد جاءت في هذا الشعر نظرية لاتنكر وتصويراً لاتكذب وهي نظرية الموت والهلاك وان كانت هذه النظرية قديمة منذ بداية العالم ولكن في تلك الزمن التي انتشرت في كل اطرافها واكنافها السيئات والمظالم والمفاسد فلذا عرض مثل هذه النظرية في هذه البيئة دليل لكون صاحبتها أهل العلم والحكمة ونري اجراء هذه النظرية في شخصيات آخر من '' أياد '' مثل قس بن ساعدة الأيادي الذي قال :

ولا يبقيٰ من الباقين غابر أيقنت اني لامحالة حيث صارالقوم صائر

وكم من أخي يثمّر المال سيورث ذالك المال رغما ويترك

هذا الشعر أحسن دليلاً علي حسن ذهنها بأنها ذمت كثرة المال ودعت الي أخذها للحاجة فقط وتأسفت علي الذين يجمعونها كل الوقت - بألفاظ آخر نقول هذا يشير الي التصوف والتقشف

عليك بأفعال الكرام ولينهم ولا تك مشاكساً

من جهة انها تمنع من الأعمال السيئة وتنتهي عن الأفعال القبيحة وفي ذالك الوقت تحث الناس علي أفعال يكون عندالله محبوبا وبها يفرح الناس ويكون أمنا مٍثاليا في البيئة والماحول - وماهي ؟ ألا وهي الكرم والجود والسخاء واللطف واللينة والشفقة - هذه الأفعال تصيّر حياة الانسان خضرآء ومطمئنة وعلي عكسها البخل والمنع والمخاصمة والعداوة والفظ - هذه الأفعال تجعل البيئة حارة وحلكاً

حتي يرجح الانسان في تلك الحالة الموت علي الحياة - وفي وقتنا اليوم علينا علي اي الشاعر والكاتب من البيئة أن يأتي مثل ما اتت الشاعرة

ولاتك مزاحا للقوم لعبة تظل أخاء هزاء لنفسك تضحك

هذا الشعر أيضاً يتعلق من الشعر السابق معني ومفهوما وتمكن في نفسها حقيقة كبريٰ وحكمة عظميٰ بأنها تنصح أن لا تسخر لأحد وإلّا يُستهزي بك و ولا تكن علامة للضحك ، وكل واحد يستهزئ بك ويضحك عليك لأن المزاح واللهو يقلّ التوقير والعظمة والاحترام والرفعة فعاذانا الله منها

تخوض في الجهل سادراً في فكاهة وتدخل في غي الغواة وتشرك

كم من رجال يغتاب بعضنا ويشتم ويسب احدانا وكذالك نعمل كثيراً مالانعلم وتخرج من أيدينا مالانشعر وتصدر منا مالا نطلع عليها ، فكم من أعمال نفعل بحالة غير واضحة أوبجهالة - فهي تقع بعدم العلم والغفلة أو عدم المبالاة فإلي هذا توجهتنا الشاعرة الحكيمة قائلةً : انك تدخل في سراة الغوي وتلج في أودية العميان وتنزل في عمق الجهل وأنت لاتعلم - فالنتيجة الماخوذة من هذ البيت العمل بالعلم مع الحواس الخمسة واياك العمل مع الغفلة

ويشرب بالكأس الذعاف شرابها ويركب حد الموت كرهاً ويسلك

انها تبينت هيئة الرجل الذي عاش وقضي حياته في الأفعال غير الضروري وأنفق عمره فيمالايجب عليه ولايسئل عنه فيها ،فعند ما حان وقت الرحيل يصعد علي مركب الموت كارهاً ولايشتهي أن يموت أويذهب الي الحياة الأخريٰ مع انه ليس له قوّة علي منعه ولا اختيار له أن لايذهب أو يأبي ويفهم من تلك العبارة من لايفعل نحوالرجل المذكور ويعمل ويقضي حياته عاملاً للأفعال الحميدة فهولا يحزن ولايخاف عند الموت بل يفرح ويرحب ملائكة الموت فاالله يوفقنا لما يحب ويرضي

ألا رب ذي حظ يبصّر فعله وآخر مصروف وفي الحظ يؤفك

في هذا البيت قد رفعت الأستارعن الحقيقة وحطمت الأستار ما نشاهد كل وقت بان يعمل واحد ويفيد منه الآخر ، ينبت واحد نباتا ويأخذ الثمرة الآخرون - حسبنا منه أن نعرف منه شأنة المرأة الشاعرة ومرتبتها الكبرىٰ

وجدت وخير القول في الحكم نافع ذي الطول مما قد يعمّم ويلبس

قالت هذه الكلمة عند ما انتهت اِختها '' جمعة '' كلامها عند القلمّس فذكرت فيه قولاً رائعاً بأن ما كان لأحد القوة والحشمة فله العزة والرفعة - والناس يسلمون علي من له المال والمقدرة ويضخعون لرجل الذي له منصب دنياويّ ويحترمون الذي يخافونه أو يستفيدونه والّا لايكرم ولا يؤقّر ولا يحترم بل يهان ويستهان ويذلل ويصغرعند كل حين كما بين ذالك المفهوم بحسن وجيد زهير بن أبي سلمىٰ كذا : ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

وليس الفتي بشيئ أعدّه اِذا كان ذامال من العقل مفلس

زينة الدنيا تقع بالعقول ،مطير الطائرات وأضواء الكهرباء وطوالة البنيان ،جريان السفن مخترقا بالمآء ،تخمين السحاب والمطر ،ايجادات الأشياء الجديدة يوما فيوماً وايصال الانسان الي القمر والكواكب وتطوير الحياة البشرية وترقية اسباب الحياة الانسانية ، فأيّ سبب هذا ؟ بكم سخر الانسان الأرض والسمآء والبحر والأمواج ؟ فليس عندنا جواب اِلّا أن نقول هذا كله بالعقل الانساني ،ومن ليس له عقل وفهم ودرك ومن لايعرف الحقيقة ولايشعر عن الماهية فكونه موجوداً أم عدمه سوآء فاِذن لايعد من البشر ولايحصىٰ من أهل الدنيا بل هو من دنيا آخر - الي هذا صرحت الشاعرة بانه عندي بشيئ لايعباء به

ذوالجبن مما يسعر الحرب نفخه يهيج منها نارها ثم يخنّس

لئن نتصفح ونتفتش خلف كل صراع ونزاع سواء تدور حول الأفراد والقبائل أو الدول والاِقليمات فنجد في أُصولها شخصاً قاعداً متوركاً الذي ليس له فائدة ولانفع ولا لهذا باعة أن يفتح وجهه امام الناس ولكن يوقد نارالمنازعة ويشتعل حبل المشاجرة ،قد أكّدت الشاعرة الي هذا فعلي الانسان أن يفتش قبل رفع قدميه

وكم من كثير المال يقبض كفه وكم من قليل المال فيعطي ويتسلسل

الاعطاء والانفاق شيئ يجعل العدو حميما ووليا ولكن علي الطبع انها ننظر انها تصدر من شخصيات ليس عندهم مال وفير وباالرغم انهم ينفقون في سبيل الله وخدمة خلق الله في كل حين وآن ولايقبضون أيديهم بل يفهمون أن ما ننفق فهو يرجع الينا اضعافا مضاعفة لأن جريان المال والفلوس يجر الفلوس الآخر - والي جهة ثانية نري كثيرا من الشخصيات أعطاهاالله كل نعمة من الدنيا ولكن يكون عميانا وصمّا عند ما يُسئل عنهم المسكين او الفقير ويسكتون سكوتا يري ليس في أجوفتهم ألسنة ويختم علي شفتيهم فيا للأسفاه - هذا الشعر قد امتلأت بالحكمة والتجربة الراسخة بأن انفاق المال وصرفها في خلق الله أمر عظيم -

وكم من صغير نذدريه لعلّه يهيج كبيرا شره متبجّس

من سجلة الانسان أنّه يأوي ويلتجي الي الكبيرأوالأكبر ويذر الشيئ الصغير لصغره ثم يأسف علي رأيه عند ما فاته الوقت وهوالذي استحقره لصغره يجيئ امامه كبيراً وهو لايستطيع أن يدفع شره ويقابله فإذاً هو ينهزم ويُغلب فالشاعرة تدرس أن استحقارشيئ لصغره أو لقلته خطأ غير مبررٍ-

وكم من مرء ذي صلاح وعفة يختال بالتقوي هو الذئب الأملس

الدنيا مملؤوة بالكذابين وهي محيطة بالخادعين وكثيراما وجه المرأء يكون غير ما في بطنه وكم من رجال الذين ألبسوا مظاهراً لباس التقوي وزينوا أنفسهم بالصلاح والفلاح وأتبعهم الناس مع أنهم لايعلمون حروف الأبجدية للتقوي فهٰؤلاء الناس علي رأي الشاعرة ذئاب يصولون علي ايمان الناس ويشتهون منهم المال والجاه وأن الشاعرة تذكر ان كل متصوف وكل مدعي الهداية يكون متقيا فهي ليس بضروريٍّ -

وآخر ذي طمرين صاحب غيةٍ يجود باعمال التقوي ثم ينفّس

نري حولنا شخصياتٍ مختلفة حاملي الدين والملة فمنهم يتركهم الناس لفقرهم وضعفهم والآخرون يرفعهم الناس لحالتهم الظاهرية وثروتهم وترفهم وبالرغم هم لايناسب لهذه المرتبة الكريمة فعلينا

أن نتميز بين تلك الشخصيات ونحدد بينهم حدودا فارقا وخطا متفاوتا لكي يصل الحق الي أصحاب الحق -

وكم من سفيه للجماعة مفسد غني بالحسني وبالشر يعرش

في هذا البيت ذكرت الشاعرة أربعة خصال لأهل الظلم والجور ولأهل الاستبداد والشر :

أوّلاً : مذموم الثناء يعني لايحمده واحد ولايذكر ذالك الرجل اِلّا بالذم والعيب ، ويستعيذ الناس باالله من شره وجوده واعتدائه حتي انفردت في بيئته -

ثانياً: ظاهر الخنا يعني انه يتكلم الكلام الفحش والغليظ هذا اِشارة أنه كما يظلم ويعدوعلي الناس بيديه مثل ذالك يؤذيهم بلسانه وكلامه --

ثالثاً: أنه بعيد عن الأعمال الحسنة والأعمال المحمودة بسبب ظلمه وجوره -

رابعاً: نسيان طرق الخير هو يصعد علي الدرجة العالية بشره وشقاوته حتي يظن أن طرق الخيرية التي يبلغه الي تلك الدرجة عبثا ولغواً فلذا لايلتفت اليه ولا يسعي حول ذالك وكذالك نجد عندها نظرية الاِله الحقيقي مع أن أكثر الزمان كانت نسيت الله وجعلت مقامه آلهة متعددة مثل الأصنام والطواغيت والأشجار والأ حجار ولكن جبلة البشر تضطر الي اظهارذكرالله الكريم كما نري ذالك في هذالبيت انها نسبت الجزاء الي الله الكريم قائلة كذا

اِذاالله جازي منعا بوفائه في زاك عني ياقلمس بالكرم 19

لقيط بن يعمر الأيادي، شهيد الشعب القومية :

حب الوطن والقوم توجد في كل شيئ حتي الحيوانات والجمادات فكيف يخلف عنها الانسان الذكي النبيل ؟ فكيف يقعد الانسان العاقل عند ما أصابت قومه البأساء أو الضراء ؟ ولن يجلس ولا يقعد مطمئنا بل يبذل نفسه حبّاً لقومه فمن رأي أحسن نموذج مثل هذا فلينظر الي لقيط بن يعمر الأيادي الذي هلك نفسه في سبيل القوم عند ما أحس الخطرات علي قومه فاِذاً يطلق عليه '' شهيد القوم والوطن ''

حياته : لقيط بن يعمر بن خارجة الأيادي كان شاعرا جاهليا وعاش في القرن الرابع قبل الميلاد وهو من أهل الحيرة ، وكان متكسبا باالشعر وكذا كان يتعرف بالفارسية حتي اتي عند الكسري ''سابور''وصار مؤظفا له من حيث المترجم فمكث عنده سنين حتي صار من خواصه ومن الذين اطلعوا علي أسرار ه ورموزه - فلما أراد كسريٰ أن يصول علي '' الأياد '' فأيقظت عروقه القومية فكتب الي قومه رسالة وجيزة تخبرهم عن سوء ارادة '' كسريٰ '' وفيا لقومه وهي تعد خير قصيدة في تاريخ الأدب العربي فلذا وضع ابن الشجري البكري في أوّل كتابه '' مختارات ابن الشجري '' وقال ابن دريد عن هذه القصيدة : ليست هناك قصيدة تحذير نظمها العرب خيرا منها وأن المبرد اقتبس بعض أبياتها في الكامل مثالاً علي خير وصف للقائد -

انظر ترجمته في : الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، 356/22 ، الشعر والشعرآءلابن قتيبه 199/1 ،عفيف عبد الرحمٰن،معجم الشعراء، 231 ، الاشتقاق لابن دريد، 168 ومختارات لابن الشجري، ص2 ، ورغبة الأمل للمرصفي ،99/5

سلام في الصحيفة من لقيط　　علي من في الجزيرة من أياد

بأن الليث كسري　　فلايشغلنّكم سوق النقاد

أتاكم منهم سبعون ألفا　　يجرون الكتائب كاالجراد 20

وبعد ذالك أرسل أُخريٰ طويلة متضمنة النصح والحكم من غير تخوف من كسريٰ أو قومه حتي اذا ظهر ما فعل علي كسريٰ فسخط عليه فأمر بقتله فقتل عضواً فعضواً فكذالك وفي عهده بقومه ووطنه - وفي الذيل أذكر بعض أشعاره الدالّة علي الحكم والنصح لأن شأن قومنا لايتغير كثيراً مما كانت عليه قومه فلنا أن نأخذ العبرة والدرس منها.

ألا تخافون قوما لاأبالكم　　امسوا اليكم كأمثال الدباء سرعا

قد ازداد في هذا البيت ايضا ما سبق ذكره في العلا ولنا أن نأخذ العبرة منها بقوله مع أن أعدائه كانت هناك وأن أعدائنا قد جلست علي رؤسنا وتحوّل آذاننا الي ما يشاؤون فعلينا أن نحس خطراتهم الكبري وندرك ذالك

أبناء قوم تأووكم حنق لايشعرون من أضرالله أم نفعا

قد أسف علي قومه كما نأسف أن الأعداء يعلم كل شيئ ولكن نحن لانعلم أيّ شيئ

لا الحرث يشغلهم بل لا يرون لهم من دون بيضتكم ريّاً ولا شبعاً

وأنتم تحرثون الأرض عن سفهٍ في كل معتمل تبتغون مزدرعاً

ولاتكوننّ كمن قد بات مكتنعاً اذا يقال له : أُخرج غمّة : كنعا

في هذا الشعر قد نصح قومه وقبيلته بأن يخرجوا عن التساهل والغفلة وأن يتركوا الأغطية والأغشية وكذالك عيّرهم بأن لاتكونوا مثل الرجل الذي مضي الليلة مطمئنا وصار مسكوتا ومبهوتا لما قيل له : قم وقابل همومك : يعني ان الشاعر أنقض حيل التساهل وشجّعهم علي الصدق الوفي

صونوا أجيادكم وأجلوا سيوفكم وجدّدو للقسي النبل والشرعا

هذا أيضا تكملة لما سبق اي معدّة الأسلحة والنهوض ضد الأعداء

أشروا تلادكم في حرز أنفسكم وحرز نسوتكم لاتهلكوا هلعا

انما يجمع الرجل المال لكي ينتفع بها عند البأساء والضراء وكذالك يفيد بها الأولاد والأقارب عند الضرورة وإلّا فلا فائدة في كسبها وجمعها فلذا قال : أشرو تلادكم اي أبذلوا وأنفقوا أموالكم الذهبية وتلادكم الموروثية لحياة العز والعظمة

يالهف نفسي إن كانت أموركم شتّي واحكم امر الناس فاجتمعا

في هذا البيت قد حث الشاعر قومه علي الجمع ضد أعدائه وحذرهم عن التفريق والتششت وخوّفهم عن الانتشار والقيام علي دارهم لأن هي حقيقة لاتنكر ان الاجتماع والجماعة أكثر أثراً وأسرع تأثيراً من الواحد أوالوحدان- ماأبان هذه الحقيقة بل أظهرذالك قائلا :

أحرار فارس أبناء الملوك لهم من الجموع جموع نزدهي القلقا

وقد أوضح ان الأعداء قد اجتمعت عليكم فلم لا تجتمعوا علي أمر واحد ؟ أما أسئل علي هذة الفرصة عن قيادة القوم أو الأمة - إن أعدائنا قد صارت مجتمعين من أول يوم فلم لا نجتمع ؟ أما حان الوقت ؟ أما يظلم اليهود وحلفاؤه علينا ؟ فيا أسفاه

قوموا قياما علي أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الأمر من فزعا

هي حقيقة لاتنصرف عنها الأنظار وهي جرت بين الناس من البداية حتي اليوم نعم ألا وهي معدة الأسباب الجميل للفعل أوّلاً ثم الدخول فيه توكلا علي الله سبحانه لأن من لم يعد للفعل ذهنا ومادة فلن ينجح ولن يفوز وهي النظرية التي فصلها الله في كتابه العزيز '' فليأخذوا حذرهم وأسلحتهم '' وفي الحديث النبوي الشريف '' أوّلاً قيد ثم توكل علي الله ، فبهذا الشعر نطلع علي نظريتهم '' التوكل علي الله '' مع أن أكثر المكان والزمان كانت محيطة بالجهل مع الله

وتلبسون ثياب الأمن ضاحيةً لاتجمعون وهذاالليث قد جمعا

عند ما جائت العدو مجتمعا امامنا فماذا نفعل ؟ واذا صعد العدو علينا لتأصيل اساسنا ماذا نفعل ؟ انجلس بالأمن والسلامة ؟ أنلصق بالأرض ونختفي في بيوتنا ؟ لا ،لا، بل هذا الوقت تطلب منا حيئذ أمرين أن نجرد لباس الأمن ونخلع ملابس السلامة فعلينا أن نأخذ السلاح ونرفع السيوف والرماح ومع ذالك ان نكون مجتمعا فاذا نغلب علي الأعداء - والي الجهة توجه الشاعر فلنا أن نقوم علي سلك واحد وطريق واحد أما هو الذي ذكره الشاعر في قوله : وتلبسون ثياب الأمن ؟

لاتثمّروا المال للأعداء انهم ان يظفروا يحتووكم والتلاد معاً

متي غلبت الأعداء علي ضدهم فماذا تفعل ؟ هم ينهدمون كل ما له صلة بتلك القوم المهلكة وهم يخرّبون كل المزروعات والماكولات والمصنوعات كما بين ذالك الشاعر صراحةً عليه أن لا تتوجهوا بكمال الي زيادة المال بل انصرفوا بكل والجهات الي دفاعكم لأن من فتح عليكم فلا يترك أموالكم

وأولادكم والي جهة توجه القرآن الكريم بقوله كذا: '' اِن الملوك اِذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة '' ومثل ذالك يؤدي المفهوم الاشعارالآتية

فلا يغرنّكم دنيا وطمع لن تنعشوا بزماع ذالك الطمعا

فقلّدوا أمركم لله درّكم رحب الذراع بامرالحرب مضطلعا

يعني ان الشاعر ينصح أن لا تتعجبوا بمالكم ولاأولادكم ولا لشيئ آخر بل هيئوا وأعدّوا اسلحتكم ثم توكلوا علي الله وهم نعم المولي ونعم النصير

ومايرد عليكم عز أوّلكم ان ضاع أوله أو ذلّ فاتضعا

مسئلة العزة والذل تكون لقوم كالجسد الواحد ان أخطأ واحد من قومه ينسب العيب الي القوم كله وان هدي علي طريق مستقيم يعتزي به سائر قبيلته فلذا علي كل واحد من القوم أن يفعل ما يفتخربه قومه كما أوضحه الشاعر

وفي خاتمة القصيدة قال كلمات تقشعر بها الأبدان وتهزت بها الأرواح قائلاً بأنه بلغ فريضته القومية مثل ذالك

هذا كتابي اليكم والنذير لكم فمن رأي مثل ذا رأياً ومن سمعا

لقد بذلت لكم نصحي بلادخل فاستيقظوا ان خير القول مانفعا

وعلي أن أكتب كلمات حو ل '' هذه القصيدة '' التي قالها الشيخ مصطفي : أحري بنا أن نقرأها ويقرأها ويحفظها أبناؤنا وبناؤنا وأن تدرس في جامعتنا ومدارسنا

وكيع بن سلمة الأيادي :

كان من الذين تضاربت عنهم الآراء وتشاجرت بينهم الأقوال،ففي تعيين شخصيته قولان : ذهب البعض الي أنه كان نبيا من الأنبياء وبني معبدا وصرحا بأسفل مكة وجعل أُمتّه يقال لها'' جزورة '' وبها سميت جزورة مكة - وقال البعض الآخرون انه كان صديقا من الصديقين انظرترجمته في : بلوغ الأرب للآلوسي: 260/2، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوايل والتوالي للعصامي:،224/1

وكان من الحنفاء وقضاة العرب الجاهلين وعلي رأي الكلبي : هو كان ولي الكعبة المكرمة بعد جرهم ومن الله عليه بالحكم الصادقة وأدي الفريضة المفوضة منالله الكريم بأداء حسن فلذا كثيرا ما يتكلم ينطلق علي لسانه الحكمة الصادقة والقول الحكيم وانتشرت في أكناف العالم وأذاعت بضرب المثل كما يلي :

ليجزين بالخير ثواباو بالشر عقاباً من في الأرض عبيد لمن في السمآء

هلكت جرهم وأزيلت أياد وكذالك الصلاح والفساد 21

وكذالك يجدر بي أن أذكر كلماته التي حدث عند ما حضره الموت فهي جدير بأن يقرأ ويدرس مراراً فبعض منها تضرب علي سبيل المثال كما هي : اسمعوا وصيتي : الكلام كلمتان والأمر بعد البيان ،من رشد فاتبعواه ومن غوي فارفضواه ، وكل شاة معلقة برجلها - كل فقرة من هذه العبارة مزدوجة بالحكمة الصادقة والحقيقة المصدوقة لأن من كان ملهما من الله الكريم فلاينطلق من لسانه اِلّا بما يرضي بها الله وخلقه

مالك بن الغزّ الأيادي :

ومن النجوم المتلألئة لقبيلة ''أياد '' التي رسمت اِسمها علي الدهر ووقّعت رمزها علي الحين ، مالك بن الغز الأيّادي وفي الحقيقة فخر لأهل أياد ومجد لقومه وشرف لعصره وسموّ لزمانه وهو كان من أهل الأمثال وله تقدم وأسبقية في انشاء الأمثال ووضعها كما كان من أمجاد أهل الأمثال هكذا كان له يد طوليٰ في الحكمة والكلام الحكيمة فاِذاً ازدادت أهميته عبر القرون والزمن ولمعت اِسمه عبر الأجيال كما أنشأالمثال المحطية بالحكمة عند ما سمع : ان رجلا كان يتكلم بأمراته بالخفي الغامض من الكلام بينهما ولكن كانت تجيبه بكلام مبين فمثّل خير مثال قائلاً آنذاك : '' أُريد السهيٰ وتريني القمر'' 22 فيضرب هذا لمن يقترح علي صاحبه شيئا فيجيبه بخلاف مراده،وهي حقيقة لاتنكر التي تشاهدها كل زمان ومكان وهي تتمثل ببيئة الباكستانية علي وجه الكمال لان الناس يقترحون من الحكام وأهل

الأقتدار ما يفيدهم من جهة المال والمعاش ولكسب والحياة ولكن الحكام والملوك يمحونهم ما يصعب حياتهم نحو الظلم عليهم والتعدي عليهم وسلب حقوقهم وقوع الضرائب عليهم وغيرها

انظر ترجمته في :المستقصي في أمثال العرب للزمخشري :424/1 ،جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري 37/1

والناس يتطلبون منهم مايزيل عنهم اِصرالاسعار والحكام يهبونهم مايزيد عليهم من الاسعار ،والناس يتقاضون منهم العدل والقسط وهم يعدونهم ويجورون عليهم - فاِلي الله المشتكي -

قس بن ساعدة الأيادي :

أؤلائك الذين مدحهم الرسول ﷺ فهم قليل جدا لأن النبي ﷺ لم يمدح أحداً اِلاّ عند ما استحق فلذا مدح النبي ﷺ أحداً دليل علي كونه عظيما ورفيعا فمن تلك الشخصيات قس بن ساعدة الأيادي

اِسمه الكامل : قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر أو ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك - وكان من الأفذاذ الذين اجتمعوا فن الشعر والخطابة في عصرالجاهلية ،

وفي مذهبه قولان : الأول : أنه كان نصرانيا وأسقف كعبة نجران ،هذا علي قول أحمد أمين ، والثاني : كان علي الدين الحنيف ومعتقدا علي التوحيد واليوم الآخر وقال الشهرستاني عنه : كان زاهدا في الدنيا وخاصة بعد أن مات له أخوان ودفنهما بيده ----- ولقد ضرب به المثل في الخطابة والبلاغة والحكمة -

ولكن الغرض الأساسي من هذا البحث ابراز تجرباته وحكمه التي مضت في حياته فحسبنا عن هذا أن نطالع خطبته الشهيرة الملقاة في سوق '' عكاظ ''

فقال : ''يأي ها الناس ! اسمعوا وعوا ، من عاش مات، ومن مات فات، وكل هو آت آتٍ، ان في السمآء لخبراً،وان في الأرض لعبراً ،مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لاتغوز ،مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات جمع وأشتات ، ليل داج ، ونهار ساج ،وسمآء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ،وأقسم قس قسما حقّا لئن كان في الامر رضي ليكونن

بعده سخط ،إنّ لله ديناً هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ، مالي أري الناس يذهبون ولايرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ تبّاً لأرباب الغافلة ،والأمم الخالية، والقرون الماضية ، يامعشر أياد ! يامعشر أياد! أين الآباء والأجداد؟ أين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثرمنكم مالا وأطول آجالاً ؟ طحنهم الدهر بكلكلة ومزّقهم بتطاولة '' -

كل لفظ منها حريّ بأن تكتب بماء الذهب فلذا حين ما سعمه النبي ﷺ فقال : ''يرحم الله قسا ، انيّ لأرجو أن يبعث أُمّة وحدة '' -

لمزيد الاطلاع عليه انظر في : النوادرلأبي زيد الانصاري: ص 262، المحبرلابن حبيب: ص 136،معجم الشعراءللمرزباني:ص 337، والأعلام للزركلي:196/5

وكذالك أوضع كلمات لم توضع قبلُ وبها انتشرت صيته في العالم كلها وبعض منها وفق ما يلي : انه أول من كتب '' من فلان الي فلان '' انه أول من قال : '' أمّا بعدُ '' أول من قال : '' ألبينة علي المدعي واليمين علي من أنكر '' وهو أول من خطب '' متكئاًعلي عصا '' - 23

مثل ذالك نجد في أشعاره دلالات تطلع علي نظريته الصافية والراقية حول '' الموت ومابعد الموت والآخرة ''كما ستجد في الذيل

في الذاهبين الأوّليي	**ن من القرون لنا بصائر**
لما رأيت مواردا للموت	**ليس لها مصادر**
ورأيت قومي نحوها	**يمضي الأصاغروالأكابر**
لايرجع الماضي	**ولايبقي من الباقين غابر**
أيقنت أني لامحالة	**حيث صارالقوم صائر**

كعب بن مامة الأيادي :

إنّ تاريخ العرب تمتاز بعدة صفات منها الايثاروالسخاء وهي توجد في كل فرد من أفراد البيئة

ولكن أسخاهم وأجودهم علي قول أبي عبيدة ثلاثة : كعب بن مامة ،حاتم بن الطائي وهرم بن سنان وأوّل الذكر منهم مطلوبنا الذي كان اسمه الكامل كعب بن مامة بن عمروبن ثعلبة الأيادي المعروف بأبي دادود الأيادي واسمه قد صارت علامة نهائية للايثار والسخاء وحسن الجوار حتي اذا حمدت العرب بحسن جواره قالت:'' كجار أبي داود ''لأن كعب اذا جاوره رجل قام بما يصلحه وأهله وحماه ممن يقصده وان هلك له شيئ أخلفه وكانت أياد تفخر علي العرب وتقول : منا أجود الناس كعب بن مامة -

قال عبد الملك بن مروان يوما : هل تعرفون حيّا فيهم أخطب الناس وأجود الناس وأشعرالناس ؟ هم : لأن قس بن ساعدة منهم ،وكعب بن مامة منهم ، وأبوداود الأيادي منهم - 24 وله قصة شهيرة في كتب التاريخ معروفة ب'' اسق أخاك النمري '' وهي رائعة وجيدة وحريّ بأن يطالع هذه كل واحد من البيئة وهي كذا :

انظرحالاته للمزيد في :الجوهرة للبري: 175/1 مواسم العرب لعرفان حمور:924

خرج كعب في قافلة ومعهم رجل من بني النمر بن قاسط وكان ذالك في حر الصيف

فضلوا وشحّ مآؤهم فصاروا يتقاسمون الماء ويوزّعونه علي حصص حتي انتهي الي كعب ،رأي الرجل النمري يحد النظر اليه فآثره بمآئه على نفسه وقال للساقي : اسق أخاك النمري فشرب النمري نصيب كعب من الماء ذالك اليوم ثم نزلوا من الغد منزلهم الآخر فتقاسموابقية مائهم فنظراليه كنظره أمس وقال كعب كقوله أمس وارتحل القوم وقالوا: ياكعب ارتحل فلم يكن له قوّة للنهوض وكانوا قد قوبوا من الماء فقالواله : ردّ ياكعب إنّك وارد فعجز عن الجواب ولما يئسوا منه وضعوا عليه ثوباً يمنع السبع من أن يأكله وتركوه مكانه فمات ونجا رفيقه '' 25 فلذا هلك نفسه ايثاراً وسخاءً لرفيقه

نتائج البحث :

لقد انطوي هذا البحث علي نتائج آتيةٍ :

1 -- اثبات أهل الأثر والتاثير في زمن الجاهلية

2 -- اظهار قبيلة '' أيّاد ''كونها منبتاً للخصائل المتنوّعة

3 -- ابراز أن بنات آدم كن أهل الأثر والتاثير

4 -- رجوع أهل العلم والفضل علي اِمرأة عالمة للعلم ليس بسوءٍ

5 -- حب الوطن والقوم ليس بمضاهي للاِسلام

6 -- انتشار أعمال أهل '' أيّاد '' في البيئة

7 -- تشجيع النساء علي اتباع بنت الخس ونحوها

8 -- اكتشاف أعمال قبيلة '' أيّاد '' حول التجربة والحكم

المصادر والحواشي

1 ـ السمعاني، عبدالكريم ،كتاب الأنساب، 397/2، دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد 1962م

2 ـ العزاوي، عباس، عشائر العراق، 25/1 ،الدارالعربية للموسوعات

3 ـ المصدرالسابق : ص 31/1

4 ـ معجم قبائل العرب، 52/1، مؤسسة الرسالة بيروت

5 ـ الكلبي، هشام بن محمد، جمهرة النسب، دارالليقظة العربية دمشق

6 ـ الاندلسي، عبدالله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم ،عالم الكتب بيروت

7 ـ القراوي، عباس، عشائر العراق، 26/1 ،الدارالعربية للموسوعات

8 ـ الجاحظ، أبوعثمان عمربن بحر، البيان والتبيين، 57.56/1 مكتبة الهلال بيروت

9 ـ الفرق بين الحروف الخمسة لابن السيد البطليوسي ، ت- د/ علي زوين ، ص 7-مطبعة العاني بغداد - 1976م

10 ـ البيان والتبيين 1/255

11 ـ الألوسي ، محمود شكري ،بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق، محمد بهجة الأثري، 1/339 ،دارالكتب العلمية بيروت

12 ـ المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ،الكامل في اللغة والأدب، 116،دارنهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة

13 ـ القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم ، الأمالي، 218/2،دارالكتب العلمية بيروت

14 ـ ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري،عيون الأخبار،73/2 الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة

15 ـ ابن طيفور ، أبوالفضل أحمد بن طاهر،بلاغات النساء، 58ـ 64 ،مدرسة والدة عباس الأول القاهرة،1908م

16 ـ السيوطي، جلال ، مزهر في علوم اللغة، 541/2، المكتبة العصرية

17 ـ الحجاج : أطره ومنطلقاته لبرليمان وتيتيكا، عبدالله صولة ص 299

18 ـ الألوسي ، محمود شكري ،بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق، محمد بهجة الأثري،340 ـ340 /1 ،دارالكتب العلمية بيروت

19 ـ

20 ـ د،عبد المعيد خان، ديوان لقيط بن يعمر،ص 31ومابعده دارالنشر مؤسسة الرسالة بيروت، 1971م

21 ـ ابن حبيب، محمد بن حبيب، المحبر،136،دارالآفاق الجديدة،بيروت

22 ـ الميداني، أبوالفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، 347،دارالمعرفة بيروت

23 ـ الأصفهاني، علي بن حسين ، الأغاني، 246/15،دارصادر

24 ـالمبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ،الكامل في اللغة والأدب، 300/1،دارنهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة

25 ـ الزركلي، خير الدين بن محمود ،الأعلام ،32/2 ،دارالعلم للملايين 2002م